المادة: المدارس اللسانية **الأستاذ: فريد زغلامي**

المستوى: السنة الثانية دراسات أدبية

المحاضرة الثانية: لسانيات دي سوسير

يتفق الدارسون المحدثون على أنّ "فردينان دي سوسير" (Ferdinand de Saussure) هو الأب الحقيقي للسانيات الحديثة؛ لأنه أوضح اهتمامها ومناهجها وحدودها، وأثرى الدراسات اللسانية بالكثير من الأفكار اللغوية الرائدة، حتى صارت اللسانيات باعثا لنهضة علمية، تولدت عنها علوم ومناهج جديدة.

ولعل ما تميز به دي سوسير من تنظير عميق جعله يسعى إلى وضع الأسس المنهجية للتحليل اللساني، مركزا على وصف اللغات الإنسانية للوصول إلى الكليات المشتركة بين اللغات... معتمدا على المناهج العلمية الحديثة في دراسة اللغة، ونبذ كل ما هو دخيل عليها.

1- نبذة عن حياة دي سوسير (Ferdinand de Saussure):

ولد فردينان دي سوسير (1857 - 1913) بمدينة جنيف السويسرية لعائلة علمية طبية، التحق بجامعة جنيف، وسجل في مجال العلوم استجابة لرغبة والديه، وبعد سنة دراسية قضاها في دراسة الفيزياء والكيمياء قرر تغيير مساره العلمي، فذهب إلى مدينة ليبزيغ الألمانية، التي كانت تمثل مركزا هاما للدراسات اللغوية، فبدأ بها مساره الدراسي الجديد في مجال الدراسات اللغوية من خريف (1876م).

درس دي سوسير اللغات السنسكريتية والإيرانية والإيرلندية القديمة والسلافية القديمة والليتوانية. وأصبح عضوا بالجمعية اللغوية الفرنسية.

كما قضى سوسير سنوات عديدة ببرلين لتحضير رسالته حول "المضاف المطلق في اللغة السنسكريتية" والتي نال بها درجة الدكتوراه سنة 1880م.

اتجاه سوسير إلى باريس ليعمل بها أستاذا للسانيات التاريخية والمقارنة. ولما رُفض طلبه ليصبح أستاذ كرسي بالكوليج دي فرانس، حيث اشتَرط عليه الحصول على الجنسية الفرنسية، عاد إلى جنيف سنة 1891م ليعمل أستاذا غير متفرغ للسنسكريتية واللغات الهندو أوروبية، ثم حوّل المنصب إلى أستاذ عامل سنة 1896م، ثم أستاذ كرسي لعلم اللغة العام 1907م، وقد أصيب سنة 1912 بمرض حال بينه وبين التدريس، ليتوفى في 22/ 02/ 1913م. ويعد سوسير أحد ثلاثة أثروا في حركة الفكر الأوروبي الحديث إلى جانب فرويد ودوركايم.

وقد قام تلامذته بعد وفاته بجمع محاضراته التي ألقاها من سنة 1907 إلى سنة 1911م، ثم تنقيحها ونشرها سنة 1916م تحت عنوان "محاضرات في اللسانيات العامة".

2- ثنائيات فردينان دي سوسير:

تتمثل الأفكار الجديدة لدي سوسير في مجموعة من المسائل الثنائية المتعارضة، وفيما يلي أهمها:

أ- ثنائية (اللسان/ الكلام) Langue/Parole :

ميّز "سوسير" في محاضرته بين اللسان واللغة والكلام، فإذا كان اللسان (Langue) جزء محدد من اللغة، ونتاج اجتماعي لهذه الملكة، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع ما لمساعدة أفراده على ممارسة هذه الملكة (اللغة)؛ فإن الكلام هو الأداء الفردي والجانب التنفيذي للّسان، فالفصل بين اللسان والكلام هو إذن فصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، فصل بين ما هو جوهري وبين ما هو ثانوي وعرضي إلى درجة ما، بين ما هو ثابت وبين ما هو متغير؛ لذلك فإن هدف اللساني هو

اللسان وليس الكلام؛ لأنه منظومة اجتماعية لا تخضع لقوة الفرد. كما أنّ اللسان يختلف عن الكلام في أنه شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة، فاللّغات البائدة (الميتة) مع أنها لم تعد تستخدم في الكلام، نستطيع بسهولة تعلّم انظمتها اللغوية.

فاللسان شيء محدد تحديدا واضحا، يقع خارج الفرد الذي لا يستطيع أبدا أن يخلقه أو يحوّره بمفرده، فلا وجود للغة إلا بنوع من الاتفاق يتوصل إليه مجتمع معين.

ب/ ثنائية (الدال والمدلول) Signifié /Signifiant:

يستخدم دي سوسير مصطلح علامة (Sgine) للدلالة على الكلمة لفظا ومعنى، والعلامة لها وجهان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، هما: الدال(Signifiant)، وهو الصورة الصوتية أو الانطباع النفسي للصوت في ذهن السامع، والمدلول (Signifié) وهو الصورة المفهومية التي تعبّر عن التصور الذهني لذلك الدال، وتتم الدلالة باقتران الصورتين الصوتية والذهنية، وبحصولهما يتم الفهم.

فالعلامة اللسانية ليست كيانا يربط بين شيء واسم، بل هي كيان ثنائي الوجه يتكون من عنصرين مترابطين ترابطا وثيقا مثل وجهي الورقة الواحدة، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر دون إتلاف الكيان ككل.

ج- ثنائية (الآنية والتعاقبية) Diachronie/Synchronie :

تتعلق هذه الثنائية بالمناهج اللسانية في دراسة اللغة؛ حيث يعني "المنهج الآني" في الدراسة اللسانية العكوف على دراسة اللغة أو إحدى ظواهرها في حيز زمني محدد، بصرف النظر عن حالة اللغة قبل وصولها إلى تلك الحالة المدرسة، ودرف النظر أيضا عن حالتها بعدها.

أما الزمانية أو التعاقبية، وهي في اللسانيات، المنهج الذي تدرس به ظاهرة لغوية ما عبر تطورها التاريخي. وقد طغى هذا المنهج طيلة القرن التاسع عشر حتى جاء سوسير فأبرز أهمية الدراسة الآنية.

د- ثنائية التوزيع والاستبدال: Syntagmatique / Paradigmatique

هذه الثنائية هي ملخص تفريق سوسير بين عملية اختيار المتكلم من رصيده لأدواته التعبيرية، وبين رصف هذه الأدوات وتركيبها حسب تنظيم تقتضي بعضه قوانين النحو، وتسمح ببعضه الآخر مجالات التصرف. وتتميز العلاقات التوزيعية بكونها حضوريا، أما العلاقات الاستبدالية فتتميز بكونها علاقات استعاضية أو تقوم بينها روابط غيابية، أي يحدد الحاضر منها بالغائب، ويحدد الغائب انطلاقا من الحاضر.

3- خصائص اللسان البشري:

يتميز اللسان البشري، بشكل خاص، بمجموعة من الخصائص المميزة له، والتي تجعله مقصرا على الإنسان دون غيره، ومن أهم الخصائص التي وقف عليها سوسير في محاضراته:

أ- اعتباطية الدليل اللغوي (l'arbitraire):

يذهب "سوسير" إلى أنّ الإشارة اللغوية ذو طبيعة اعتباطية؛ أي أنّ العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، فهذه الكلمة الأخيرة تعني أن لا علاقة طبيعية بين الدال والمدلول أي أنها اصطلاحية.

فالاعتباطية تعني أن اختيار الدال للإشارة إلى مدلول محدد تم بطريقة اعتباطية؛ أي لا تربطه صلة طبيعية بالدال؛ أي أنه من قبيل التوافق والاصطلاح بين الناس، فالدال المعنى الذي يشير إلى مدلول ما يفرضه المجتمع على المتكلمين بصفة تعسفية (المواضعة).

يقول دي سوسير" إنّ الإشارة اللغوية اعتباطية؛ ففكرة الأخت لا ترتبط بأية علاقة داخلية مع السلسلة المتتابعة من الأصوات (أ – خ – ت) التي تستعمل كدال بالنسبة لهذه الفكرة. فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها باستخدام أي تعاقب صوتي آخر، وخير دليل على ذلك اللغات المختلفة التي تستخدم إشارات مختلفة؛ فالمدلول (ثور) له الدال "ث–و–ر" في محيط معين، والدال "Bô–E–uf" في محيط آخر". فالدليل غير معلل بالنسبة إلى الدال الذي لا يمت بصلة للواقع، فالاستعمال وحده هو الذي يحدد قيمته، وليس الواقع، ولا حتى المتكلم الذي ليس في وسعه تغيير العلامات.

ب– الطبيعة الخطية للدال (la linéarité du Signifiant):

هي سمة أخرى من خصائص اللساني، وكان دي سوسير أول من أوضح هذه السمة، ومفهوم الخطية يعني أن المتكلم لا يمكنه أن يتلفظ بصورتين في آن واحد، في النقطة الزمنية نفسها عند النطق بها، أي أن الأصوات تأخذ تسلسلا زمنيا أثناء حصولها في النطق. وكأن هذا التسلسل خطي، لا تتكرر فيه الأصوات في النقطة نفسها، ولا يحصل صوتان في تلك النقطة، بل تأخذ ترتيبا دلاليا وظيفيا، وتدرك ضروريا بواسطة السماع. مثال ذلك: كلمة (كلم) تأخذ هذا الترتيب لدلالة معينة، وترتيبا آخر (لكم) لدلالة أخرى، و(ملك) لدلالة ثالثة. فمع أنها جميعها مركبة من الحروف نفسها، إلا أنها تختلف في معانيها لاختلاف نظام تأليفها وحدوثها في الزمن، كما أنه لا يمكن أداء الكاف واللام مثلا في وقت واحد.

وهكذا تأخذ اللغة شكلا خطيا زمنيا في الأمل، عكس أدوات تعبيرية أخرى كالرسم والنحت...

- ومن خصائص اللسان أيضا أنه نظام متكامل لا تكتسب فيه أي وحدة لغوية قيمتها إلا من خلال علاقتها واختلافها مع باقي الوحدات في النسق (اللغة تشبه لعبة الشطرنج؛ أي تغيير في القطعة يؤثر على النظام).
- اللسان ملك للجماعة وليس للفرد؛ إذ لا يستطيع الفرد بمفرده تعديله أو تغييره، بل هو نتاج مواضعة جمعية تخضع للعرف الاجتماعي.
- اللسان مقاوم للتغيير الفردي المقصود، لكنه يخضع مع مرور الزمن لتغيرات تدريجية غير محسوسة كحدث نتيجة التفاعل الاجتماعي المستمر.

مراجع المحاضرة:

- فردناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، مر: أحمد حبيبي.
- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور.
- خليفة بوجادي، اللسانيات النظرية.
- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة.
-